

كان «ماني» قد خرج من زيارة القصر الأولى التي حصل فيها على حقّ بث الدعوة وحسب، مستبشراً الوجه مُقْتَحِمَ الخطو. وخرج من مقابلته الثانية، وقد وعده مَلِكُ الملوك باعتناق دينه وناشده أن يجمع حوله وحول رسالته مجموع رعاياه، مغموماً وكأنه يحمل في آني صليب «المسيح» وتاج «الساسانيين»<sup>١</sup>.

ما الذي حدث؟ ألم يكن ذلك أمله الأخير الذي يقترب أسرع مئة ضعف مما كان يتوقع؟ غداً ملك الملوك، وبعد غد «الإمبراطورية»، ولن تلبث آراؤه أن تُحرّك البشرية جمعاء. ولم يكن الأمر حليماً من أحلام اليقظة وحسب، ولا وعداً من «توأمه» على حافة ترعة من ترع «دجلة»، ولا كان هو ذلك المتسوّل المشردّ زارع الكلام، بل كان النصر في متناول اليد.

ومع ذلك فقد ذهب يحبس نفسه بين جدران الغرفة التي لا يزال يشغلها في بيت «مالكوس» في كل مرة يمرّ فيها بـ (المدائن). ولن يخرج منها اليوم ولا غداً وسيظلّ ساجداً ومجتمناً في الصوم والتأمل من غير أن يُوجّه كلمة مُطْمَئِنِّة إلى المريدين الذين احتشدوا حشوداً في كل ركن من المنزل والحديقة. «ديناغ» وحدها جسرت على الدخول لحظة لكي تضع بلا أدنى صوت كوز ماء على إفريز النافذة المُغلّقة.

إنه لعجيب حقاً ومحيّر هذا اللقاء بين صبيّ بستان النخيل الأعرج و«شاهبور» الذي كانت الكتابات والنفوس تدعوه «سليل الآلهة، وأخا القمر والشمس الأسمى، وسيّد الأقطار الأربعة...» فأية قرى يمكن أن تكون بينهما، وأي توافق، وأيّة حميمية، وأي فكر مشترك؟ ومع ذلك فقد لَوّح العاهل بحركات اعتذار. ومع ذلك فقد احمرّ وجهه وأشاح بنظره، ثم تمهّرب لمداراة حياته ما إن باح برغبته في اعتناق مذهبه.

اعتناق مذهب «ماني»؟ الارتداد عن دينه هو؟ هو، ملك الملوك، يضع ركبته على الأرض ويرجو «ماني» أن يباركه بوضع يديه عليه؟ ألا يكون ذلك خداعاً عريضاً وجائراً؟